خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ١٦/٠٥/٢٠١٤

في مسجد بيت الفتوح بلندن

✿✿✿✿✿

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ ، آمين.

لقد ذكرتُ في الخطبة الماضية أن المسيح الموعود عليه السلام أدرك مفاهيم القرآن الكريم وفهِم أوامره وأدرك المعنى الحقيقي لوحدانية الله تعالى بإفناء نفسه في النبي الأكرم ﷺ، لأن فهْمَ مضمون التوحيد الحقيقي لا يمكن تحقيقه بغير وسيلة رسول الله ﷺ، ولا يمكن الاطلاع على علوم القرآن الكريم أيضا بغير وسيلته ﷺ. لذا لا بد من فهم "محمد رسول الله" أيضا فهما حقيقيا إلى جانب فهم حقيقة "لا إله إلا الله"، لأن محمدا رسول الله هو النموذج والـــمَثل الحقيقي والعملي لـــ "لا إله إلا الله".

سأقدم لكم اليوم بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام حول وحدانية الله تعالى التي تبيّن ما هو التوحيد الصادق وما حقيقته وما هي الأعمال التي تؤهِّل الإنسان ليُدعى موحدا حقيقيا؟ يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح "إله الناس" في تفسير سورة "الناس".

"أريد أن أوضح أن الله تعالى قال أولا في هذه السورة: "رب الناس"، ثم قال: "مَلك الناس"، وقال في الأخير: "إله الناس" الذي هو مطلوب الإنسان ومقصوده الحقيقي. الإله يُطلَق على المعبود والمقصود والمطلوب. *(المراد من ذلك هو ما يجب علينا أن نحصل عليه وهو غايتنا المتوخاة وهو الذي نتحراه، أو الشيء الذي يجب على المسلم الموحد أن يسعى للوصول إليه. فيقول المسيح الموعود بأن الله هو مقصودنا ومطلوبنا، ومعنى لا إله إلا الله هو أنه لا معبود لي ولا مقصود ولا مطلوب لي إلا الله)*

"والعبارة "لا إله إلا الله" تعني: لا معبود لي ولا مقصود لي ولا مطلوب لي إلا الله. والتوحيد الحقيقي هو أن يعتبر المرءُ اللهَ تعالى وحده جديرا بالمدح والثناء كله."

(أي يجب أن تُنسَب جميع أنواع المدح والثناء إلى الله، وإلى الله تعود جميع المحامد وهو الذي يستحقها، وهذا هو التوحيد الحقيقي)

ثم قال حضرته عليه السلام: التوحيد يكتمل إذا اعتقد الإنسان أن الله تعالى الواحد الأحد هو معطي المرادات كلها، وشافي كل الأسقام ومعالجها، وهذا هو معنى "لا إله إلا الله". لقد قال المتصوفون أن المراد من كلمة "إله" هو المحبوب والمقصود والمعبود. لا شك أن هذا هو الحق، وما لم يتمسك الإنسان به تماما لا يترسخ في نفسه حب الإسلام وعظمته. *(إذا تمسك الإنسان بـــ "لا إله إلا الله" على وجه الحقيقة عندها فقط يترسخ حب الإسلام وعظمته وإلا فهو كلام بحت)*

ثم قال عن تعليم الإسلام الأعلى والأكمل:

"إنه لمن فضل الله الذي أُعطيه المسلمون بواسطة الإسلام، وجاء رسول الله ﷺ بهذا الفضل. إنه لمدعاة للشرف والاعتزاز العظيم للمسلمين من أية جهة رأيتم. إن إله المسلمين ليس حجرا ولا شجرا ولا حيوانا ولا نجما أو ميتا آخر بل هو إله قادر على كل شيء وقد خلق الأرض والسماء وما بينهما، وهو الحي القيوم. إن نبوة رسول المسلمين ورسالته ممتدة إلى يوم القيامة، ورسالته ليست ميتة بل توجد ثمراتها وبركاتها متجددة في كل زمان وتمثّل إثباتا ودليلا على صدقه في كل عصر.

فقد أجرى الله تعالى هذه الإثباتات والبركات والفيوض الآن أيضا وأثبتَ النبوة المحمدية بإرسال المسيح الموعود. وإن دعوته ﷺ عامة اليوم أيضا فهي للعالم كله. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ثم قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. لقد أعطى الله كتابا كاملا ومحكَما وموثوقا به لدرجة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ و﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾و﴿قَوْلٌ فَصْلٌ﴾ و﴿مِيزَان﴾ و﴿مُهَيْمِنْ﴾. *(أي أن الأحكام الجديرة بالبقاء، والحقائقَ الثابتة والأبدية توجد في القرآن الكريم فقط، أما الكتب الأخرى فلم تبق فيها إلا قصص)*

باختصار، إن دين المسلمين كامل ومكتمل من كل النواحي والجوانب الذي قيل في حقه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ *(أي الإسلام هو الدين الوحيد والأخير والقادر على سدّ جميع الحاجات)*

فالأسف كل الأسف على المسلمين إذ يملكون دينا كاملا ومدعاة لرضى الله تعالى ومع ذلك هم محرومون ولا ينالون نصيبا من بركات هذا الدين وثمراته. *(أي أنهم محرومون منها مع انتمائهم إلى هذا الدين العظيم)* بل هبّ أكثرهم لإنكار جماعة أقامها الله تعالى بنفسه لإحياء تلك البركات، وبدأوا يرفعون عقيرتهم قائلين: "لستَ مرسَلا" و"لستَ مؤمنا". *(أي عندما بعث الله تعالى المسيح الموعود، والمعلوم أن بعثته استمرار لنبوة رسول الله ﷺ ولكنهم أنكروه بدلا من أن يقبلوه ويؤمنوا به. وبدأوا برفع الهتافات قائلين بأنك لم تأت من الله ورفعوا عقيرتهم بأنك لست مؤمنا)*.

اعلموا يقينا أن إقرار وحدانية الله فقط لا يمكن أن يجذب البركات التي تنشأ نتيجة مستلزمات هذا الإقرار الأخرى أي الأعمال الصالحة. *(إن إقرار التوحيد باللسان فقط لا يجذب البركات بل لا بد من الأعمال الصالحة التي هي من مستلزمات التوحيد، وما لم تتولد تلك الأعمال لن تتسنى بركات التوحيد، أي ما لم تكسبوا الأعمال الصالحة متأسين بأسوة النبي ﷺ الحسنة)*.

الحق أن التوحيد هو الجزء الأعلى الذي يجب على كل مسلم صادق أن يختاره، ولكن لتكميل التوحيد جانب آخر أيضا وهو حب الله تعالى.

إن هدف تعليم القرآن الكريم وغرضه الحقيقي هو أنه كما أن الله تعالى واحد لا شريك له كذلك يجب أن يؤمن به المرء واحدا لا شريك له من حيث الحب أيضا، وهذا كان الهدف والغرض الحقيقي من تعليم الأنبياء عليهم السلام دائما. فكما يعلّم "لا إله إلا الله" التوحيدَ من ناحية، كذلك يأمر بتكميل التوحيد في الحب أيضا. *(أي إلى جانب تعليم التوحيد يعلّم أيضا أن يصل المرء في حبه ذروة الكمال)* وكما قلت آنفا بأنها جملة جميلة ومفعمة بالمعاني لا نظير لها في التوراة والإنجيل و لم يعلّم كتاب آخر في العالم تعليما كاملا كما علّم القرآن. إن كلمة "إله" تعني الحبيب والمعشوق الذي يُعبد. فأصل الإسلام يؤدي مفهوم الحب بالتمام والكمال. اعلموا أن التوحيد الذي ينقصه الحب هو ناقص غير مكتمل."

إن حب الله تعالى إنما يُنال نتيجة الاتباع الكامل للنبي ﷺ لذا أعلن الله تعالى على لسان النبي ﷺ: "فاتبعوني يحببكم الله". ما هي حقيقة التوحيد وماذا يجب أن يكون مستوى المؤمن من حيث تمسكه بالتوحيد؟ يقول المسيح الموعود عليه السلام في هذا المجال:

"الذين يميلون إلى الحكام وينالون منهم جوائز وألقابًا ويعظّمونهم في قلوبهم كعظمة الله تعالى، ويصبحون عَبَدةً لهم، فإن عملهم هذا يستأصل التوحيد، ويقذف المرء بعيدًا عن محوره الحقيقي. *(أي يقضي على مستوى التوحيد)* ولذلك يعلّم الأنبياءُ -عليهم السلام- أن لا تتعارض الأسباب مع وحدانية الله تعالى، بل يجب أن يظل كل شيء في موضعه بحيث يكون المآل هو وحدانية الله تعالى.

إنهم يريدون أن يعلّموا الناس أن الله تعالى وحده يتكفّل كل نوع من العزة والراحة والحاجة، فإذا اعتُبر شيء آخر كفيلا إزاء الله تعالى فلا بد من هلاك أحدهما لأن الضدينِ إذا ما تقابلا هلك أحدهما. *(أي إذا تصارع الضدان فلا بد أن يهلك أحدهما، كما عندما يتصارع الفريقان لا بد أن ينهزم أحدهما)* لذا لا بد من تقديم الله تعالى على كل شيء آخر. لا مناص من اتخاذ الأسباب ولكن يجب ألا تُتخذ إلهًا. *(إن استخدام الأسباب أيضا ضروري، بمعنى أنه يجب أن تستخدموا الوسائل التي خلقها الله تعالى ولكن لا تتخذوها آلهة بل قدّموا وحدانية الله عليها)*. هذا التوحيد هو الذي يخلق في القلب حبًا لله تعالى، حين يدرك المرء أن النفع والضرر كله بيد الله تعالى، وأنه هو المحسن الحقيقي، وأن كل ذرة من الكون مِلكه، فلا يفكر في أحد غيره ﷻ وعندما يبلغ المرء هذا المقام يُعَدّ من الموحِّدين. *(أي عندما يحدث ذلك ويكون الاعتماد كله على الله تعالى ويتلاشى كل من سواه عندها تكونون موحدين)*

باختصار، إن الدرجة الأولى من التوحيد أن لا يتخذ الإنسان الأحجار أو الناس أو أي شيء آخر إلهًا من دون الله تعالى، بل يتبرأ وينفر من اتخاذها إلهًا، والدرجة الثانية من التوحيد ألا يتجاوز المرء حدا في اتخاذ الأسباب. *(أي يجب ألا يعتمد على الأسباب كليا ولا يتجاوز الحدود في الاعتماد عليها ولا يعتدّ بها كليا)*

والنوع الثالث هو أن يرفع المرء أغراض نفسه ووجوده وينفيها. (أي الشرط الثالث لإقامة التوحيد هو أن يمحو الإنسان نفسه ويقضي على أهوائه النفسانية والشخصية)

في كثير من الأحيان ينظر الإنسان إلى ميزته وقوته الشخصية، *(يلاحَظ في كثير من الأحيان أن المرء يعتمد على ميزة له أو قوته الشخصية)* فيقول بأنه كسب حسنة كذا بقوته هو. فيثق بقوته وينسب كل عمل إلى قوته، ولكن الإنسان يكون موحدا عندما ينفي قواه كلها.

هنا ينشأ سؤال وهو أن جزءا من أجزاء الذنب يرافق الإنسان عادة كما تدل عليه التجربة. فمن الناس من يكون متورطا في ذنوب بارزة، ومنهم من يكتسب ذنوبا من الدرجة الوسطى والبعض يكون عرضة لأدق الذنوب مثل البخل والرياء أو ما شابههما. وما لم يتخلص الإنسان منها لا يمكن أن ينال أنواره المنشودة المفقودة. الحق أن الله تعالى أعطى أحكاما كثيرة ومنها ما لا يتيسر العمل به للجميع. ومثالها الحج، فهو واجب على من استطاع إليه سبيلا. ويجب أن يكون السبيل أيضا آمنا والمعاش المعقول مهيأ لمن خلفه من ذويه. *(أي لا يجوز أن يترك المرء أهله جياعا ويذهب للحج)* فإذا تحققت هذه الشروط عندها يمكن للمرء أن يحج. والزكاة أيضا لا يؤديها إلا صاحب النصاب. كذلك تحدث التغيُّرات في الصلاة أيضا. *(بمعنى أنها تُقصر في السفر أو تُجمع في بعض الظروف)*

لكن هناك شيء لا تغيُّر فيه قط وهو: "لا إله إلا الله محمد رسول الله". هذا هو الحق، وأما ما سواه فهو من مكمِّلاته. لا يكتمل التوحيد ما لم يلتزم المرء بالعبادات. *(أي إذا عبدتم الله كما أمر عندها فقط سيكتمل التوحيد)* والمراد من ذلك أن القائل بـــ "لا إله إلا الله" لا يكون صادقا في إقراره ما لم يُثبت عمليا أنه لا مطلوب له ولا مقصود في الحقيقة إلا الله. وإذا حصل ذلك في الحقيقة وكان إيمانه وعمله يُثبتان صدق إقراره لن يُعَدّ كاذبا عند الله في هذا الإقرار. عندما تحترق الأشياء المادية كلها ويصيبها الفناء عندئذ يتفوه بلسانه: لا إله إلا الله. أما الجزء الثاني من هذه الشهادة أي "محمد رسول الله" فهو من أجل النموذج لأن كل شيء يصبح سهلا نتيجة النموذج والنظير. *(إذا كان المَثل والنموذج موجودا أمام المرء يسهل عليه العمل بحسبه، وقد قدّم النبي ﷺ أمامنا هذه الأمثلة من خلال أسوته بالعمل بجميع أوامر القرآن الكريم)*. الأنبياء يأتون لإراءة نموذجهم، أما النبي ﷺ فكان جامعا لنماذج الكمالات كلها لأن نماذج جميع الأنبياء مجتمعة فيه." *(فقد اجتمعت في شخص النبي ﷺ جميع الكمالات وقدم أمثلة أيضا على تلك الكمالات من خلال أسوته)*

ذات مرة طُرح سؤال في مجلس أن التوحيد موجود في اليهود فماذا قدّم القرآن الكريم إضافة إليه؟ فقال المسيح الموعود عليه السلام: لا يوجد التوحيد في اليهود بل يوجد فيهم قشره، والقشر وحده لا ينفع شيئا. للتوحيد درجات، وبدونها لا تُعلَم حقيقته. وإن مجرد التفوه بـــ "لا إله إلا الله" لا يكفي لأن الشيطان أيضا قد يتفوه به، فلا فائدة منه ما لم تتحقق حقيقة "لا إله إلا الله" في وجود الإنسان عمليا. وأين ذلك في اليهود؟ قُل أنت بنفسك. *(كان السائل أيضا يهوديا)* إن المرحلة الأولى والابتدائية للتوحيد هي ألا يصدر من الإنسان شيء ينافي قول الله تعالى وألا يكون فعل من أفعاله ينافي مقتضى حب الله تعالى، كأن ينمحي ويتفانى في حب الله وطاعته فقط، ولذلك معناه "لا معبود لي ولا محبوب لي ولا مطاع لي إلا الله"، تذكَّروا أن الشرك أنواع، منها الشرك الجلي، والثاني الشرك الخفي، فمثال الشرك الجلي عموما اتخاذُ عبدة الأصنام الأشجارَ أو الأشياء الأخرى آلهةً، والشرك الخفي أن يعظِّم المرء شيئا كما يعظم الله، *(أي يولي أحدًا عزةً ومكانة أكثر من اللازم)* أو يحب شيئا أو يخافه أو

يتوكل عليه كما يحب الله ويخافه ويتوكل عليه. فتدبروا هل توجد هذه الحقيقة كاملةً في أتباع التوراة أم لا؟ فقد لا يخفى عليك ما صدر منهم حتى في حياة موسى عليه السلام نفسه. فلو كانت التوراة كافية لكان يجب على اليهود أن يزكّوا أنفسهم لكنهم لم يتزكّوا، بل صاروا قساة القلب ومسيئين إلى أقصى حد، (*حتى كانوا يعصون موسى عليه السلام*). إنما من تأثير القرآن الكريم وحده أنه يؤثّر في قلب الإنسان تأثيرا قويا بشرط أن لا يصدر منه إعراض عنه ظاهريا أو معنويا. وأمثال ذلك موجودة في كل عصر، وهي موجودة في العصر الحاضر أيضا. فقد قال ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، إن الاتباع الكامل للنبي ﷺ يُكسب الإنسان الحب الإلهي، مما يتبين أنه ﷺ كان مثلا للموحد الكامل، فلو كان اليهود يؤمنون بالتوحيد، لما كان هناك سبب لابتعادهم عن هذا الموحد. (*أي كان يجب عليهم أن يؤمنوا بالنبي ﷺ*) كان يجب أن يعرفوا أن إنكار خاتم الرسل من الله وعداءه أمر خطير جدا، لكنهم لم يبالوا وأنكروه رغم وجود النبوءة عن بعثته ﷺ في كتبهم، فما سبب ذلك سوى "قستْ قلوبهم."

ذات مرة قال حضرته عليه السلام تعليقا على الاعتقاد الباطل عن عيسى عليه السلام: لقد جاء الإسلام بتوحيد مصفًّى وخالص لا يوجد له مثالٌ ونموذج في الملل والأديان الأخرى، لدرجة أني أوقن بأنه صحيح أن التوحيد الإلهي قد ذُكر في الكتب السابقة، كما كان الهدف المنشود من بعثة جميع الأنبياء نشرَ التوحيد فحسب، إلا أن الأسلوب والنهج الذي جاء به خاتم النبيين ﷺ والنهج الذي بيَّن به القرآن الكريم مدارج التوحيد بوضوح لا يوجد له أثرٌ في أي كتاب آخر قط. حين أرادوا أن يوسخوا ويكدروا هذا النبع الصافي (*أي أولئك الذين يعارضون المسيح الموعود عليه السلام ولا يؤمنون بوفاة المسيح عليه السلام وجعلوه إلها مع الله من بعض النواحي ومع ذلك يدعَون مسلمين، فعن هؤلاء يقول حضرته*) إنهم حين أرادوا أن يكدروا هذا النبع الصافي، فأخبروني أي نقص بقي في الإساءة إلى الإسلام؟ أضف إلى ذلك شقاوتهم أنه حين يُعرَض عليهم الإسلام الحقيقي الذي جاء به النبي ﷺ ويُثبَت لهم بالقرآن الكريم أنهم على خطأ يقولون إن آباءهم كانوا يؤمنون بكذا، لكنني أقول هل يمكن أن يبرئوا أنفسهم بهذا القول فقط؟ كلا، بل بحسب القرآن الكريم وسنة الله القديمة تتم عليهم الحجة بمقتضى هذا القول أيضا، إذ كلما جاء مبعوث أو رسول من الله قال له المعارضون بعد سماع تعليمه ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.

يقول حضرته عن التوحيد والشرك في الأسباب: ليس التوحيد مجرد الإعلان باللسان "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" بل التوحيد يعني أن ترسخ عظمة الله في القلب، ولا تبقى في القلب عظمةٌ لأي شيء آخر مقابله، وأن يُعَدّ الله ﷻ هو مرجعَ كل فعل وحركة وسكون، وأن يتوكل المرء عليه وحده في كل أمر، ولا يبقى له أي توكل على أي أحد غير الله، ولا ينظر إليه، ولا يجيز الشرك بالله في ذاته ولا في صفاته. في هذا الزمن قد تبينت حقيقة الشرك المتمثل في عبادة المخلوق جيدا، والناس يتبرأون منه، (*أي حتى النصارى الذين كانوا يؤمنون بأن عيسى عليه السلام إله، بدأوا يبتعدون عن هذا الاعتقاد*) لذا فالنصارى في أوروبا وفي بلاد أخرى ينفرون من دينهم كل يوم، هذا ما تصدِّقه الجرائد اليومية والمجلات والإعلانات التي تُقرأ هنا، (*فسرعة النفور من هذه المعتقدات في ذلك الزمن قد تضاعفت في العصر الراهن آلاف المرات، بل بقي كثير من النصارى بالاسم فقط، فهم لم يعودوا يؤمنون بأن عيسى عليه السلام حي أو كان إلها بل هم ينكرون وجود أي إله*)

باختصار لا أحد يؤمن الآن بعبادة المخلوق، إلا أن الشرك بعبادة الأسباب لا يدركه الكثيرون. فمثلا يقول المزارع أنه ما لم يزرع ولم يحرث وما لم تُنتج المزرعة لن يعيش، وكذلك كل صاحب حرفة يتكل على حرفته، فقد زعموا أنهم إذا لم يفعلوا كذا فسوف يصعب عليهم العيش. وهذا ما يسمى عبادةَ الأسباب، وسبب ذلك أن الناس لم يعودوا يؤمنون بقدرات الله. فالحقيقة أنه حتى الأشياء التي تتوقف عليها الحياة من الماء والهواء والغذاء لا تنفع الإنسانَ ما لم يأذن لها الله ناهيك عن الحرفة. (*أي إن لم يشأ الله لا تفيد الإنسانَ هذه الأشياءُ*) لذا عندما يشرب الإنسان الماء فليفكر أن الله خلَق الماء وأنه لن ينفعه ما لم يُرِد الله ذلك، وإنما الماء يفيد بإرادة الله فقط، فحين يريد الله ﷻ يكون الماء نفسُه ضارا. ذات يوم صام أحدهم وأفطر على الماء وبعده استلقى فصار الماء سمًّا له، (*فقور شُرب الماء شعر بألم ولم يقدر على النهوض فبذلك صار الماء الذي يهب الحياة سمًّا له، بعض الناس يُكثرون من الماء عند الإفطار، فهذا ضارٌّ، فيجب الحذر في هذا الخصوص.*)

ثم قال حضرته: لا يصبح أي عمل مباركا —سواء كان إنسانيا أو غيره– ما لم تنـــزل البركة فيه من السماء. باختصار يجب الإيقان الكامل بتصرفات الله، فالذي ليس فيه هذا الإيمان ففيه عرق من الإلحاد، فالعمل يحدث في السماء أولا ثم يحدث على الأرض.

التوحيد ليس التباهي والكلام الفارغ، انظروا إلى المشايخ، فهم يلقون المواعظ في الآخرين ولا يعملون بها أنفسُهم، ولذا لا أحد يثق بهم، فقد قيل عن شيخ إنه ألقى وعظا في مجلس وكانت فيه زوجته أيضا، فقد ألقى الوعظ عن الإنفاق في سبيل الله والصدقات والمغفرة، فتأثرت به امرأةٌ فخلعت عن قدمها الخلخال وتبرعت به فقال لها الواعظ أتريدين أن تحترق قدمُك الأخرى في النار؟ فخلعت خلخالا من قدمها الأخرى وقدمته له. وحين عاد إلى البيت أرادت زوجته أيضا أن تعمل بحسب الوعظ وأرادت أن تتبرع بشيء للمحتاجين، فقال لها الشيخ إن هذا الكلام للوعظ لا للعمل. ثم قال إن لم نفعل ذلك لتعذَّر العيش، فعن أمثال هؤلاء هناك مثل فارسي تعريبه:

إن هؤلاء الوُعّاظ يصعدون على المنبر وينبرون للوعظ وحين يكونون وحدهم في معزل ينجزون أعمالا أخرى.

ثم قال حضرته كيف يجب أن يكون المؤمن الحقيقي المتمسك بالتوحيد: المؤمن إنسان غير مستغن، وإنما يهمه الرضوان الإلهي، ويضع طاعته في الحسبان كل حين وآن، لأنه ما دامت معاملته مع الله فلا يقيم أي وزن لأي ضرر أو نفع، حين يعطي المرء أهمية لأي شيء مقابل الله يتورط في المعاصي مثل الرياء والعُجب. تذكروا أن هذه الأهمية سمٌّ وفي الجزء الأول من "لا إله إلا الله" أي "لا إله" نفيُها أيضا، فحين يتهاون الإنسان في الاستجابة لأمر من الأوامر الإلهية، من أجل إنسان من البشر، فهو يجعله شريكا في إحدى صفات الله، ولذلك يقصِّر ولا ينفي عند نطقه بـــ "لا إله" كل هذه الآلهة. (*أي حين لا يمتثل المرء لأحد أوامر الله ويتركه فهذا يعني أنه يجعل أحدا شريكا لله في هذه الصفة، وبناء على ذلك لا يقوم بذلك العمل. فقال حضرته إن الإنسان ينفي الآلهة من هذا القبيل عند نطقه بـــ "لا إله. أي لا يشرك بالله أحدا في أي صفة مطلقا، وهذه هي حقيقة "لا إله"*)

قد وردت في الكتب أحداث، ومنها ذكر الصائمين (*أي* أن الشيخ الصائم حين يزور أحدا وكان يريد أن يظهر أنه صائم، فهو عند استفسار صاحب البيت بدلا من أن يصرح بأنه صائم يقول عندي عذر (*بقصد أن يظهر أنه أفنى نفسه ويمارس على نفسه مجاهدات شاقة، ويقصد من ذلك أنه تصدر منه ذنوب كثيرة. أي لا يقول بوضوح إنه صائم، يقول أنا لن أشرب ولن آكل لسبب.*) باختصار هناك ذنوب خفية كثيرة تدمر الأعمال باستمرار. (*ومنها التكلف والتصنع والمراءاة والإظهار لأي عمل صالح هو من الذنوب وبذلك تحبط الأعمال تدريجا، ويبتعد الإنسان عن التوحيد.*) إن الأثرياء مصابون بالتكبر والأنانية عادة وهما يأكلان أعمالهم، ولذلك يسبقهم بعض الفقراء الذين لا تصيبهم مثل هذه الأفكار. *لأن التكبر والنخوة تُبعدان الإنسان عن التوحيد أيضا،* باختصار إن مَثل الرياء وغيره كمثل الفأر الذي يأكل الأعمال سرًّا، إن الله كريم جدا إلا أن المجيء إليه يقتضي التواضع، (*أي لن تفوزوا بالقرب الإلهي إلا بالتواضع*) فقدر ما تكون في قلبه أفكارُ الأنانية والكبر سواء كانت بسبب العلم أو الزعامة أو الثراء، أو العائلة والنسب، سيتخلف. ولذلك ورد في بعض الكتب أن الأولياء في السادات قليلون، ذلك لأنهم مصابون بالتكبر بسبب العائلة، فبعد القرون الأولى حين نشأت هذه الفكرة تخلفوا. فمثل هذه الحجب تجعل الإنسان محروما وشقيا، والذين ينجون منها قليلون جدا، الثروة والغنى أيضا من الحجب. (*فهذه الأشياء أي الثروة والغنى تمنع الإنسان من الامتثال للأوامر، ثم حين لا يستجيب المرء للأوامر يبتعد عن التوحيد.*)

لقد سُئل حضرته عليه السلام عن إلهامه: "أنت مني وأنا منك" أن الناس يعترضون على هذا الإلهام أنه ينافي التوحيد؟ فقال حضرته عليه السلام:

"أنت مني" واضح جدا لا غبار عليه، ولا يمكن أن يرِد عليه أي اعتراض أو طعن، إذ إن ظهوري بفضل الله المحض وحده. (*أي أن المراد من "أنت مني" أن ما فاز به حضرته إنما بفضل من الله، وأن الله هو مَن رزقه*) ... تذكَّروا أن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى -كما قال في القرآن الكريم مرارا وتكرارا- واحد لا شريك له، لا في الذات ولا في الصفات، ولا في الأفعال. إنما الحق أن الإيمان بالتوحيد الإلهي لا يكتمل ما لم يتطهر الإنسان من كل أنواع الشرك. ولا يكتمل التوحيد إلا حين يؤمن الإنسان بأن لا نظير لله في الصفات ولا في الأفعال. (*فليؤمن انطلاقا من ذات الله وصفاته أن صفاته سبحانه وتعالى فقط تشمل كل شيء وأنه كما يخرج الله سبحانه وتعالى نتائج رائعة للأعمال فلا يساويه أحد في ذلك*)

يعترض السفهاء على إلهامي هذا ولا يفقهون حقيقته، بينما ينسبون صفات الله سبحانه وتعالى لغيره مع إقرارهم بألسنتهم بأن الله أحد، مثلما يؤمنون بأن المسيح عليه السلام محيٍ ومميت، وعالم الغيب، والحي والقيوم. أفليس ذلك كله من الشرك؟ كلا بل هو أخطر أنواع الشرك الذي أهلك الأمة المسيحية، وقد أدخل المسلمون اليوم مثل هذه الأمور في معتقداتهم. فيجب أن لا ينسب المرء مثل هذه الصفات الخاصة بالله سبحانه وتعالى إلى أي إنسان سواء كان نبيا أو وليا. كما ينبغي ألا يشرك أحدًا في أفعال الله تعالى أيضا. إن سلسلة الأسباب جارية في العالم ولكن بعض الناس يعتمدون على الأسباب لدرجة ينسون الله تعالى، فحقيقة التوحيد أن لا تبقى أي شائبة للشرك في الأسباب. كما ينبغي أن لا يحسب الإنسان بأن خواص الأشياء ذاتية، بل يجب أن يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد أودعها هذه

الخواص، فكما أن "التُربد" *(وهي نبتة)* تسبب الإسهال، أو "سم الفأر" يؤدي إلى الهلاك، فإن تأثيرات هذه الأشياء وخواصها ليست من تلقاء نفسها، بل يجب الإيمان بأن الله قد أودعها فيها، فإذا سحبها فلا يسبب التربد الإسهال ولا يقدر السم الزعاف على الهلاك إذا تناوله أحد. باختصار يجب أن لا يتجاوز حد الاعتدال في الاعتماد على سلسلة الأسباب، ولا يشرك أحدا في الصفات والأفعال الإلهية، عندئذ تتحقق حقيقة التوحيد، ويقال عن مثل هذا الإنسان إنه موحد. أما إذا كان يؤمن بأن أحدًا شريك في هذه الصفات والأفعال الإلهية، فلا يسمى موحدا مهما أقر بالتوحيد بلسانه، فأمثال هؤلاء الموحّدين في الآريا الهندوس أيضا الذين يقولون بألسنتهم إنهم يؤمنون بإله واحد، لكنهم مع هذا الإقرار يقولون بأن الله لم يخلق الروح والمادة، وهما ليسا بحاجة إلى الله لبقاء وجودهما وقيامهما، (وكأنّ لهما وجود مستقل في حد ذاتهما،) فأي شرك أكبر من هذا؟ وعلى هذا المنوال لا يستطيع الكثيرون التفريق بين الشرك والتوحيد، إذ تصدر منهم مثل هذه الأعمال والأفعال، أو هم يتمسكون بمعتقدات يظهر فيها الشرك بوضوح، فمثلا يقولون لو لم يكن فلان لهلكنا، أو ما استقام أمرُنا؛ فعلى الإنسان أن لا يتجاوز حد الاعتدال في الاعتماد على سلسلة الأسباب، ولا يشرك أحدا في الصفات والأفعال الإلهية.

ثم قال حضرته:

لا يستطيع الإنسان أن يتجاوز حدود القوى والكفاءات التي وهبه الله إياها، فقد خلق العينَ مثلا للرؤية والأذن للسمع، واللسان للكلام والتذوق، فلا يستطيع أحد القول بأنه سيستخدم الأذن للرؤية بدلا من السمع، ويستخدم اللسان للسمع بدلا من التكلم والتذوق. فأفعال هذه الأعضاء والقوى وخواصها محدودة، بينما أفعال الله وصفاته ليست محدودة، وهو "ليس كمثله شيء". باختصار لا يتحقق التوحيد ما دام المرء لا يوقن بأن الله واحد لا شريك له من كل النواحي، ويحسب نفسه هالكة الذات وباطلة الحقيقة، إذ لا أهمية لنفسه ولا لتدابيره وأسبابه.

ثم يقول حضرته عن الوحي: أنا منك:

يجب التذكر لإدراك الحقيقة أن الإنسان الذي قد نال الحياة الجديدة والطيبة بعد بلوغه درجة نفي الذات كاملا، والذي خاطبه الله قائلا: أنت مني، وهو يدل على فوزه بقرب الله ومعرفته، فإن مثل هذا الإنسان يكون سببا لظهور توحيد الله وعزته وعظمته وجلاله، وهو شاهد حي وعيان لوجود الله، فبهذا الشكل سيتم فيه ظهور وجود الله، (أي عندما يتفانى العبد في الله تعالى يتجلى فيه ربّه) ويصبح كمرآة ينعكس فيها وجود الله. فعندما يصل درجة بحيث يتحول مرآة تعكس وجود الله يقول الله في حقه: وأنا منك، فالإنسان الذي يسمع نداء "أنا منك"، يأتي إلى الدنيا عند انمحاء آثار عبادة الله، (أي إن من يتلقى نداء: أنا منك، فهو ذلك الشخص الذي لا يبعث إلا عندما يبتعد الناس عن عبادة الله وعند انمحاء آثارها.) في العصر الحاضر أيضا قد كثر الفسق والفجور في العالم، ولا تتراءى سبل معرفة الله والوصول إلى الله، فقد أقام الله هذه الجماعة، وقد بعثني بمحض فضله وكرمه، لكي أُطلع الغافلين عن الله على وجوده ﷻ، وليس ذلك فحسب بل أري وجوده ﷻ للذين يأتون إلى

هذا السبيل بصدق وصبر ووفاء، وبناء على ذلك قد خاطبني الله قائلا: أنت مني وأنا منك. (الملفوظات، المجلد ٥، ص ٢-٨)

قال حضرته: "من أنواع التوحيد أيضا أن يحبّ المرء اللهَ تعالى لدرجة ينفي أغراضَ نفسه كليًّا ويتفانى في عظمته ﷻ."

يقول حضرته وهو يذكر إخلاص صحابة النبي ﷺ:

"يتعجب الإنسان عند الاطلاع على أحوال الصحابة الكرام إذ لم يبالوا بالحر والبرد وضحّوا بحياتهم، ولم يهتموا بعزتهم وكرامتهم وظلّوا يُذبَحون كالأغنام، إن تقديم مثل هذا النظير ليس بسهل البتة. ولا أدلّ على إخلاص هذه الجماعة من أنها أثبتت إخلاصها بفداء النفس. كانت أنفسهم قد خلتْ من حب هذه الدنيا، وأصبحوا كمن يقف جاهزًا للسفر عند الباب، هكذا كانوا مستعدين لترك الدنيا والسفر إلى الآخرة.

إن جزءً كبيرًا من أعمال الناس يتعلق بالدنيا إذ يكونون دائمي التفكير في إنجاز هذا وذاك حتى يأتيهم أجلهم المقدر، أما اعتراض بعض الناس أننا سنخسر عقاراتنا في هذا السبيل فهو باطل. ما هي العقارات التي كان يملكها أبو بكر وغيره من الصحابة زمن النبي ﷺ؟ لعل بعضهم كانوا يملكون مئة أو مئتي روبية أو أكثر منها قليلا، ولكنهم نالوا أجر ذلك أكثر بكثير حيث جعلهم الله تعالى ملوكًا وورثوا ثروات قيصر وكسرى. لا ترضى غيرة الله تعالى أن يكون في الإنسان نصيب لله ونصيب للشيطان. أما حقيقة التوحيد فهي أن لا يبقى في الإنسان نصيب لغير الله. إن الإيمان الحقيقي بالتوحيد الكامل يقتضي موتًا، إلا أن هذا الموتَ هو الحياة في حقيقة الأمر.

ثم يقول حضرته: اعلموا يقينًا أن هناك عالمًا آخر لا نهاية له بعد حياة الدنيا الفانية، وينبغي أن تجهّزوا أنفسكم من أجله. إن شوكة هذه الدنيا تنتهي هنا ولكن لا نهاية لنعماء ذلك العالم وأفراحه. أقول لكم حقًّا إن من يأتي الله تعالى متخليًّا عن هذه الأمور كلها فهو المؤمن الحقيقي. وإذا صار أحد لله تعالى فلا يمكن أن يتخلى عنه الله. لا تظنّوا أن الله تعالى ظالم، بل الذي يترك لله شيئًا يجد أكثر منه بكثير. لو آثرتم رِضى الله تعالى فأيقّنوا أنكم ستوهبون أولادًا حتى ولو لم تتمنوا ذلك، وسيعطيكم الله مالا حتى ولو لم تتمنوه.

لا تقوموا بِسَعيَين اثنين لأنه لا يمكن القيام بسعيَين اثنين في وقت واحد، بل ينبغي أن يكون سعيكم سعي واحد وهو السعي للوصول إلى الله. من يترك الدنيا لوجه الله فإنه ينالها أيضا ولكن بشرط اجتناب الشرك بكل أنواعه.

قال حضرته: أقول لكم مرة أخرى إن الأصل الحقيقي للإسلام هو التوحيد أي ينبغي ألا يكون في داخل الإنسان سوى الله تعالى، وألا يطعن الإنسان في الله وفي رسله مهما حل به من بلاء أو مصيبة، ولا يشكو مهما تحمّل من ألم أو تعرض لمشكلة. كلما تعرض الإنسان لبلاء فإنما يتعرض بسبب نفسه هو، وليس الله بظلام للعبيد.

قد يتعرض الصادقون أيضا للبلاء الذي قد يحسبه غيرهم بلاء أما في الحقيقة فليس ببلاء، بل يكون إعلانًا للإنعام لهم، لأنهم يزدادون علاقة مع الله بسبب هذا البلاء ويرتفعون منـــزلةً عنده. لا يمكن لغيرهم أن يفهموا هذا الأمر.

أما الذين ليس لهم علاقة مع الله فإنهم يتعرضون للبلاء نتيجة أعمالهم السيئة فيزيدهم ذلك ضلالة، ولقد قال الله تعالى عن مثل هؤلاء: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا). فينبغي أن تتقوا الله تعالى دائمًا وتطلبوا منه فضله حتى لا تكونوا من الذين يقطعون علاقتهم بالله. من يدخل في الجماعة التي أقامها الله تعالى فلا يمنّ على الله شيئًا، بل هذا فضل الله تعالى ومنته أنه وفقه لذلك. إنه قادر على أن يفني قومًا ويأتي بقوم آخرين. إن هذا الزمن يشابه زمن لوط ونوح، وبدلا من أن يأتي عذاب شديد ويقضي الله تعالى على هذه الدنيا أراد الإصلاح بفضل منه ورحمته فأقام هذه الجماعة.

فإن مسئوليتنا جسيمة وهي أن نفهم هذه التعاليم وندرك حقيقة التوحيد الإلهي.
قال عليه السلام: من الضروري جدا لجماعتنا أن تُحدث في نفسها تغيُّرا حسنا، لأنها تتلقى المعرفة المتجددة. لو ادعى أحد المعرفة و لم يعمل بها، فليس ادعاؤه إلا ثرثرة اللسان، لذلك ينبغي لجماعتنا ألا تغفل عن هذا الأمر مهما غفل عنه الآخرون، *(أي لا تتبعوا الآخرين جزافا)* ولا تُخمِد حماسَ حبها حتى ولو رأتْ خمودَ حبِّ الآخرين. *(بمعنى أنه إذا رأى أحد أن الآخرين ليسوا متوجّهين إلى حب الله وحب الدين عليه ألا يقسّي قلبه نظرا إلى الآخرين)* لا شك أن الإنسان يربي في قلبه آمالا وأمانيَ كثيرة، ولكن من يدري ماذا تخفي له يد الغيب من القضاء والقدر. إن الحياة لا تسير وفق الأماني والآمال، إذ إن عالم الأماني يختلف عن عالم القضاء والقدر، وإن عالم القضاء والقدر هو الحق. اعلموا أن صحيفة أعمال الإنسان الصحيحة عند الله تعالى. وما أدرى الإنسان ما الذي كتب فيها؟ لذلك ينبغي له أن يوقظ قلبه مرة بعد أخرى لينتبه."
أي يجب على الإنسان أن يكون منتهبا ويفحص نفسه دائما من هذه الناحية. ندعو الله تعالى أن يوفقنا لإدراك التوحيد الحقيقي، وأن تنال أعمالنا رضا الله تعالى.
بعد صلاة الجمعة سأصلي صلاة الغائب على المرحوم محمد عبد الكريم العباس من سورية الذي توفي بتاريخ ٢٠١٤/٥/٧م، إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد بايع المرحوم في عام ٢٠٠٥م وتقدم سريعا في إخلاصه ودخل نتيجة إخلاصه في المخلصين من الدرجة الأولى. كان المبايع الوحيد في عائلته، ثم دخل نظام الوصية في عام ٢٠٠٩م، كان دائم الالتزام بدفع تبرعاته حتى وإن كان بعيدا جدا إذ كان يرسل النقود مع أحد أقاربه رغم كل الصعاب خلال السنتين الماضيتين في بلده. كان مريضا بداء السكري كانت حالته الصحية سيئة دائما، كان نحيل الجسم فانتقل إلى رحمة ربه على إثر تعرّضه لوعكة صحية في الأيام الأخيرة. بشره السيد ملحم العدس، فكان مخلصا وصادقا في بحثه عن الحقيقة، وبسبب روحانيته العالية صدّق الدعوة وقبِلها قبل أن يقرأ الكثير إذ بايع بعد شهر واحد فقط من علمه بجماعة المسيح الموعود عليه السلام. بعد بيعته رأى في الرؤيا أنه في

مسجد قباء ويصلي مع كبار الصحابة وكلهم يلبسون لباسا أبيض ووصف الصلاة أنها كانت روحانية جدا وكان سعيدا بهذه الرؤيا.

وقال: هذه الرؤيا تدل دلالة واضحة على أن قراره بالبيعة كان قرارا صائبا. ولكن لشدة تواضعه كان يتساءل دائما: هل أنا فعلا أستحق أن أصلي مع الصحابة. كان يبلّغ الدعوة دائما ولا يخشى في ذلك لومة لائم وخصوصا أنه كان من منطقة أهلها كلهم من العشائر التي لا تقبل أمورا مخالفة لعشائرهم وعاداتهم. رغم المرض الشديد كان دائما يتواصل مع الجماعة ويقرأ باجتهاد ويحفظ الأدلة ويقدمها للناس بكل لطف وحب، كان مشهورا عنه لطفه وطبعه الحنون الهادئ. كان دائما يثبت للآخرين أن المرض ليس عائقا وأن بإمكان الجميع المساهمة في نشر دعوة المسيح الموعود عليه السلام. وعندما كان يبشر بالمسيح الموعود عليه السلام أو يتكلم عنه كانت دائما عيناه تغرورقان بالدموع. وإذا تكلم عن الحق تكلم بقوة وجرأة لا تظنها تخرج من رجل ضعيف البنية مثله.

بعد وفاته أخذ أهله جثته إلى مسقط رأسه فورا و لم يستطع أفراد الجماعة الصلاة عليه وقت الدفن ولعلهم صلوا عليه صلاة الغائب وسنصلي عليه الآن بإذن الله.

يقول السيد هاني طاهر: كان المرحوم أحمديا مخلصا، عرض علي في ٢٠٠٩ تصميم الموقع الخاص بي، فلما اعتذرت له بسبب قلة الوقت قال: أرسل إلي مقالاتك وسأتولى بقية الأمور كلها. ثم صمم لي ببذل جهد كبير موقعًا جميلا. وكان يبدي حبّه والتياعه لخدمة الجماعة وحبه لها.

يقول السيد عبد المجيد عامر (*من المكتب العربي*): لقد وفّق اللهُ المرحومَ للعمل معي في مراجعة تراجم كتب المسيح الموعود من الأردية إلى العربية، وشعرتُ في هذه الأثناء أنه كان متعودا على إنجاز كل عمل بإخلاص متزايد وبدقة وسرعة متناهيتين، و لم يسمح للمرض أن يكون عائقا في سبيل هذا العمل العظيم بل لم يذكر مرضه في هذا السياق قط. كان يشعر بسعادة غامرة دائما بقراءة كتب المسيح الموعود عليه السلام وكان كثيرا ما يقول بأنه يجب أن تصل معارف المسيح الموعود وعلومه إلى الإخوة العرب سريعا ليستفيدوا منها فيهتدوا. كان يحب الخلافة كثيرا. رفع الله درجاته وغفر له، آمين.